

محمد ومحمد طه

الملكوت والموت العزيزان

الطبعة الأولى
رمضان ١٣٩٣
أكتوبر ١٩٧٢

الأهداء

الى الذين يطلبون الحق ،
لانهم يحبون الحقيقة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون *
يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة ، هم ، غافلون » ..
صدق الله العظيم

المقدمة

هذا كتاب « الماركسية في الميزان » ، وهو عبارة عن متن محاضرة ،
بهذا العنوان ، القيت بدار الجمهوريين ، بمدينة امدرمان - حى
الموردة ، وذلك فى مساء يوم الاربعاء ، الثانى والعشرين من شهر مايو
سنة ١٩٦٨ .. ولقد كانت هذه المحاضرة مسجلة على شريط .. وهى ،
انما تظهر اليوم على الورق ، نقلا عن هذا الشريط .. وهذا هو السبب فى
جريانها بلغة « الكلام » ، بدلا من لغة « الكتابة » ، كما هو مألوف العادة ..
لقد كان ماركس فيلسوفا « عمليا » .. ولقد لجت به « عمليته »
هذه حتى اصبح نباتا ارضياً ، صلته بالسمااء واهية ، وفروعه فى الاعالى
قريبة .. وبذلك فقد اصبحت فلسفته سطحية ، بصورة مؤسفة .. ان
ماركس ، اذا ما وضع فى اطاره الحقيقى ، والطبيعى ، كفيلسوف
مرحلى ، يصبح مقبولا ، ومحمودا ، فيما ادى من خدمة مرحلية فى تطوير
المجتمع البشرى .. اما اذا وضع كفيلسوف لجميع الأزمنة ، كما يدعى
الماركسيون ، فانه لا ينهض ، ولا يقوم ، الا كما يقوم السذى يتخبطه
الشيطان من المس ..

هذا ولنا عودة ، الى تفصيل القول فى امر الماركسية ، قريبة ،
ان شاء الله ، ولربما تكون فى مقدمة الطبعة الثانية لهذا الكتاب .. اما
الآن فاننا نقدم الكتاب للقراء عسى ان يجدوا فيه المتعة المرجوة .. والله
هو المسئول ان يتقبل منا ، صالح عملنا ، وان يصلح فاسده .. انه نعم
المولى ، ونعم النصير ..

متن المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديثنا ، في هذه الأمسية ، سيكون عن : « الماركسية في الميزان » ..
وهذا الحديث يجيء ضمن عملنا ، نحن الأخوان الجمهوريين ، في محاولة
توعية الناس في السودان ، في الوقت الحاضر .. التوعية السياسية
المطلوبة ، المطلوبة لكي تكون هناك نهضة سياسية ، ونهضة اقتصادية ،
ونهضة اجتماعية .. وفي الميدان ، في الوقت الحاضر ، هناك فكرتان —
الفكرة الماركسية ، والفكرة الإسلامية .. ومحاضرة هذه الأمسية إنما
هي للتنوير فيما يخص الفكرة الماركسية .. وهي باسم « الماركسية في
الميزان » .. وغدا ستكون هناك ، إن شاء الله ، كلمة أخرى عن تطوير
التشريع الإسلامي ، يراد بها إلى التنوير فيما يخص الفكر الإسلامي ..
وما اعتقد أن في الميدان ، في الوقت الحاضر ، في السودان ، الاهاتان
الفكرتان — الماركسية ، والإسلام .. ويمكن للإنسان أن يقول ، على
إطلاق المسألة ، أن ليس في العالم ، في الوقت الحاضر ، غير هاتين
الفكرتين ، وإن كان الإسلام لم يتخذ الصورة الواضحة ليصبح دعوة ..
لمكن لا يمكن أن يكون في العالم هناك فكرة تنازل الفكرة الماركسية ،
وتصححها غير الإسلام .. فاذن نحن في هاتين الليلتين إن شاء الله ، في
هذه الليلة ، وفي الليلة المقبلة ، سنحاول أن نتخذ وضع واضح من الرأي
المواجه للماركسية والإسلام ..

ما هو الميزان

« الماركسية في الميزان » يتقضى كلمة عن « الميزان » ، قيل ما

نتكلم عن الماركسية .. كان عندنا كتيب ، قبل قليل ، تناول نشاط جبهة
الميثاق .. وكان اسمه : « زعيم جبهة الميثاق الاسلامي في الميزان : -
(١) ميزان الاسلام ، ٢) ميزان الثقافة الغربية » .. والموازن ،
بطبيعة الحال ، كثيرة ، وتتفاوت في الدقة .. فهناك ميزان يوزن بيهو
الملح ، وميزان يوزن بيهو الذهب ، وييكون هناك اختلاف في
« السنج » ، واختلاف في حساسية الميزان ليستجيب لأبسط فارق في
الوزن .. فنحن ، في الوضع الحاضر ، في محاضرتنا عن « الماركسية في
الميزان » ، ميزاننا ميزان الاسلام : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ،
وانزلنا معهم الكتاب ، والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » ، « الميزان »
هنا يمكنك ان تقبول : ميزان « الشريعة الاسلامية » .. ويمكنك
ان تقول : ميزان : « لا اله الا الله » بمعنى : « شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا ، والذي اوحينا اليك » ، دا معناه : شريعة الكلمة :
« لا اله الا الله » لأن « لا اله الا الله » هي التي اوحيت للنبیین
جميعا : خير ما جئت به انا والنبیون من قبلى « لا اله الا الله » ..
فميزاننا ، اذن ، الیمكن نزن بيهو الماركسية هو : « لا اله الا الله » .. هو
دقة التوحيد المنتظم الوجود ، في أعلاه ، وفي أسفله ..

وانطلاقا من هذا الميزان يجب أن نصحح مفهوم شائع ، هو ان
الماركسية ما حقها يتكلم عنها الناس ، خصوصا اذا كانوا دعاة اسلام ،
ذلك لان الماركسية رجس من عمل الشيطان ، وانها لا حاجة لنا بها ..
أول ما يجب أن يصحح بميزان : « لا اله الا الله » هو ان ليس هناك
باطل مطلق یمكن ان يدخل في الوجود .. كل ما دخل في الوجود اثما
دخل بارادة الهية .. والارادة لا یمكن أن تكون باطل مطلق .. وما تراه
نحن باطل في الارادة ، انما هو باطل حكم ، باطل شرع ، باطل لمصلحة
وجهة نظرنا نحن .. لكن ، من وجهة نظر الحق ، ليس هناك الا الحق ..

وماركس ما جاء بحاجة ما أوحاها ليهو الله .. حتى الالحاد ، الانتوما ،
 عايزنوف في الماركسية ، ما دخل في الوجود الا بوحى الهى ، لحكمة الهية ،
 يجب ان يتابعها الناس ، حتى تنجلي ليهم .. ومن الخطأ ان نرفض أى
 شئ من التراث البشرى بحكمنا عليه انه باطل مطلق .. وقد يقال اننا
 نحن ، كدعاة اسلاميين ، عندنا الاسلام ، ونحن مستغنين بالاسلام عن
 ما عداه .. « الماركسية » ، في اشتراكيتها ، وفي فلسفتها ، فيما يتعلق
 بالانسان ، نحن الاسلام يغيثنا عنها .. نحب ان نقول : ان الاسلام
 هو ، في الحقيقة ، عبارة عن جميع نشاط صور العناصر الفى الوجود ..
 الاسلام ، كما يقول عنه ربنا في القرآن :— « أفغير دين الله يبغيون ؟ »
 وله اسلم من في السموات والارض ، طوعا ، وكرها ، واليه
 يرجعون !! » . الاسلام ، بالمعنى دا هو الاسلام العام ، هو الانقياد
 للارادة الالهية ، طوعا للبشر المسلمين ، وهم واعين ، وكرها لكل
 العناصر التى تسير الى الله مقهورة بالارادة .. فماركس ، وما جاء به
 ماركس ، داخل في الاسلام العام ، لكن لما تجى انت للاسلام الخاص ،
 الاسلام المطلوب ، الذى هو الاستسلام الراضى ، والانقياد الواعى ،
 المدرك ، سيكون فى خطأ فى جانب ماركس ، وفى حاجة صحيحة فى جانبه ..

ما لماركس وما عليه :—

ونحن ، فى الميزان اذن ، عايزين نرى ما ليهو ، وما عليه .. النقطة
 البنىدى منها ، هى نقطة عدم الرفض المطلق لماركس ، ونقطة عدم
 القبول المطلق لماركس .. يجىء هذا من اعتبار ان فكره انما هو نشاط
 بشرى ، فيهو خطأ ، وفيهو صواب .. ولما نحن نقول اننا سنرى ما ليهو
 وما عليه فى الميزان معناه اننا سنضع ، فى كفة الحسنات ، حسناته ،
 ونضع ، فى كفة السيئات ، سيئاته .. والمجهود الاسلامى كله له هيمنته

على النشاط البشرى كله .. لما قال ، عن كتابنا : « مصدقاً لما بين يديه
من الكتاب ، ومهيماً عليه .. » يعنى ان كتابنا ، يعنى ان ديننا ، مهيم
على الاديان ، وكتابنا مهيم على الكتب .. الكتب دى مش مجرد الكتب
الاربعة المنزلة من السماء .. وانما كل كتاب ، حتى كتاب « رأس المال »
بتاع ماركس ، القرآن مسيطر عليه ، ومهيم عليه ، ويستطيع ان
يظهر الخطأ فيه ، ويظهر الصواب فيه .. من هذا المنطلق نستطيع
ان نتكلم عن « الماركسية » ..

« الماركسية » ، هى فلسفة كارل ماركس ، الرجل المشهور .. ملء
السمع ، وملء البصر ، فى الوقت الحاضر .. كان كارل ماركس المانى ،
من عنصر يهودى .. ولد فى المانيا ، فى أوائل القرن التاسع عشر .. ولد
فى سنة ١٨١٨ ، وترعرع فى المانيا ، لغاية ما أكمل دراسته الجامعية فى
جامعة برلين .. تخرج فى القوانين ، والتاريخ ، والفلسفة .. فى المانيا ،
كان ماركس ثائراً ، كان ذلك فى الأربعينات — فى أواخر الثلاثينات ،
وأوائل الأربعينات — كان ثائراً حتى ان الوضع الموجود يومئذ فى المانيا
ضاق بثورته ، وأخرجه .. مشى لفرنسا .. فى فرنسا أقام بعض
الوقت .. التصق خلاله بالثوار الفرنسيين ، اللى هم أعقاب الثورة
الفرنسية المشهورة ، وثار معهم ، حتى ضاقت بيهو فرنسا ايضاً ..
كان الوقت وقت ثورات .. حصلت ، فى أوروبا ، فى محلات كثيرة ، منها
المانيا ، ومنها فرنسا ، فى عام ١٨٤٨ حصلت ثورات .. فما كان من كارل
ماركس الا ان انتهز فرصة هذه الثورة فى المانيا ، ثورة سنة ١٨٤٨ ،
وجاء لألمانيا راجع ، وواصل نشاطه الثورى .. فى سنة ١٨٤٩ ضاقوا
بيهو مرة اخرى ، وطردوه من المانيا .. مشى لفرنسا .. منحوه
الدخول .. مشى لبريطانيا حيث اقام .. تقريباً كل مذهبه خرج من
بريطانيا .. كانت لقامته فيها الى سنة ١٨٨٣ ، حيث توفى فى لندن ..

هنا يحسن ان يقال أن كارل ماركس قد صلب ثلاث حركات كبرى : صلب الفكر الكلاسيكي الألماني في الفلسفة .. تقريبا كان هو معاصر ليهيغل ، الفيلسوف الألماني .. وفي فرنسا صلب الحركة الشيوعية الثورية ، التي كانت متأثرة بالثورة الفرنسية .. وفي بريطانيا صلب الاقتصاد ، زى ما يسموه ، السياسى الكلاسيكى .. الاقتصاد الرأسمالى النامى بصورة راقية وسريعة .. لقد كانت لماركس في هذه البلاد ثلاث فرص جيدة .. في ألمانيا كانت الفلسفة ، وفي فرنسا الثورة والشيوعية ، الافكار الاشتراكية الثورية ، وفي بريطانيا الاقتصاد الرأسمالى المزدهر بصورة ما في البلاد الأوربية زيه .. في بريطانيا ، وفي فرنسا ، عاصر الاشتراكية ..

الاشتراكية المثالية

الاشتراكيين البريطانيين كانوا أسبق على الفكرة الاشتراكية من سكان القارة الأوربية .. الامر المشهور هو انه قد كان في بريطانيا رجل اسمه روبرت أوين ، يقال انه هو أول من استعمل كلمة اشتراكية .. روبرت أوين ، اشتراكيته ، في بريطانيا ، باقية حتى الآن .. وهى اشتراكية حزب العمال ، والجهاز الفلسفى ليه اسموه جمعية الفابيين FABIAN SOCIETY .. الاسم بتاعها جائى من قائد رومانى قديم اسمه فابيوس .. يقال ان فابيوس ده ، كان عنده من المهارة التكتيكية ما يخليه يهزم العدو بدون ما يواجهه .. هو لا يواجه عدوه أصلا ، ولكنه بالكر ، والفر ، وبالمناورات ، وبالتجسس ، قد كان يقلق راحة ، وتوهم العدو ، وبالصورة دى يهزمه .. هم كانوا قالوا اننا نحن

اشتراكيين على صورة من عمل غابريوس هذا في التكتيك الحربى .. لنا
اسلوب مراوغة نستطيع بيهو أن نهزم الرأسمالية ، والمستغلين ، وان
ننصر الطبقات المستغلة .. البسمة الكسان عليها روبرت أوين في
اشتراكيته ، كانت محاولة تطوير الوضع .. العمال يسعون لكسب
التشريع في البرلمان البتديهم حقوق التنظيم ، بعدين ، بنوع من الضغط
الى حد كبير ، قائم على الاوضاع السلمية ، والتنظيم النقابى ،
يستطيعون ان يكرهوا أصحاب الأعمال ليحصلوا في حالة العمال ، سواء
في ساعات العمل ، أم في زيادة الاجور .. روبرت أوين نفسه كان من
أصحاب الأعمال .. والمعروف ان روبرت أوين لما جاء يطبق المسألة دى ،
ليعطى فرصة للعمال ، من دوافع انسانية ، من عندو ، وليمشى في تطبيق
أفكاره ، حاربوه ، حارب أصحاب الأعمال الكبيرة ، لغاية ما فى الآخر
افلس .. هنا كارل ماركس عنده نظرة للاشتراكية بتاعة روبرت أوين ..
هو بيعتبرها مثالية .. مثالية معناها بتقوم على أفكار خالصة .. اذا كان
هناك انسان مستهلك ، وعندو حقك ، وانت بتتظر أن تأخذ منو حقك دا
بالتى هى أحسن ، وبالمحاورة ، والمداولة ، وبسن التشريع ، وبالاصلاح
العام السلمى .. بالصورة دى ما بتكون فى عندك فرصة .. وبتكون
انت مثالى .. هذا هو المعنى المقصود ..

الاشتراكية العلمية

في فرنسا الحركة « الاشتراكية » كانت تسمى « الشيوعية » ..
كلمة الشيوعية جاية من أصل لاتينى ، معناه « الملكية العامة لوسائل
الانتاج » .. لكنها بتقوم على العنف .. الشيوعيون هم بقايا من
الثورة الفرنسية المعروفة عندكم .. فهم يرون من ثم ان التغيير لازم
يكون بالعنف .. فاذا كان عندو حقك ، وهو مستهلك ، وما ممكن يديك

حقلك بالتى هى أحسن ، وهذا عندهم امر طبيعى ، تصبح الحاجة
 العملية ، والطمية ، ان شئت ، هى انك انت تقاقله ، وتأخذ منه حقلك
 بالقوة .. والقوة منها الثورة المسلحة ، ومنها دون ذلك ، وانت بتحاول
 ان تجهيها بالصور المختلفة التى منها اتحد الناس المستغلين ..
 والمستغلين هم عادة الطبقة الكبرى ، هم العدد الهائل فى كل شعب ..
 العدد الكبير يكون المستغل ، والعدد المستغل يكون القليل .. فانت
 بالتنظيم يمكنك تجميع ، وتوحيد ، المستغلين ليقوا ، حتى يستطيعوا
 ان يأخذوا حقهم .. ومن ذلك جاء الشعار بتاعهم : « يا عمال العالم
 اتحدوا !! ليس عندكم ما تفقدونه سوى قيودكم » .. فهنا ، كارل
 ماركس ، اعجبه الفكرة « الاشتراكية » الفرنسية ، أو
 قل « الشيوعية » .. ولذلك فقد سمي مذهبه « بالشيوعية » .. فيما
 بعد ظهر التمييز بين « الاشتراكية » ، و « الشيوعية » ،
 ولكن ، فى الاول ، فى الوقت الاولانى ، ما كان فى تمييز
 واضح .. ولكن ، فى الآخر ، ظهر ان « الاشتراكية » مرحلة نحو
 « الشيوعية » .. اذا كنت انت عايز تكون شيوعى ، فى آخر المطاف ،
 لابد ان تمر ، من الرأسمالية ، بمرحلة الاشتراكية ، ريثما تصل لمستوى
 الشيوعية .. هنا النظرة بتاعة كارل ماركس للموضوع داسميت
 « الاشتراكية العلمية » .. لما هو سمي « الاشتراكية » بتاعة روبرت
 أوين « مثالية » سمي اشتراكيته هو « علمية » .. وعلميتها بتجى من
 نظريته هو للتاريخ ، وللطبيعة .. عنده ان الطبيعة بتطور باستمرار ،
 عندها قوانين بتحكمها فى تطورها هذا .. معرفة القوانين دى ،
 البتخضع ليها الطبيعة ، سواء اكانت فى العناصر الصماء ، أم فى المجتمع
 البشرى ، أم فى الفكر البشرى ، معرفة القوانين دى ، كارل ماركس
 سماها « المادية الديالكتيكية » — المادية الجدلية — بعض الناس بيقلوا

في ترجمتها .. لكن دي ترجمة غلط ، لأن المسألة مش مسألة جدل ، وإنما
 مسألة تطوّر .. فكأنما ، عند ماركس ، جدل الطبيعة صراع بين
 العناصر .. كان كأنما يرى ان الطبيعة بهذا الصراع بتناقض
 المتناقضات ، بتصفى المتناقضات ، بتطوّر .. وهي في تطورها ، إنما
 تنتقل من الكم الى الكيف .. فالعبارة دي ، بالصورة دي ، ترجمتها
 بكلمة « جدلية » لا تكفى .. وكذلك يرى كثير من الجماعة القالوا عليها
 « بالديالكتيكية » .. فانتهم تسمعون عن : « المادية الديالكتيكية » عند
 ماركس ، ولكن ما هي ؟! هي علم القوانين العامة التي تحكم الحركة سواء
 أكانت في العالم الخارجى أم في الفكر .. والحركة معناها شكل المادة ،
 عند ماركس .. عنده اصلو ما في مادة بدون حركة ، ولا في حركة بدون
 مادة .. فإنما هو التطور المستمر ، في العناصر الموجودة في البيئة نحن
 نعيش فيها ، وفي داخلنا نحن ، وفي مجتمعا .. دا هو ما سماه ماركس
 « بالمادية الديالكتيكية » .. وماركس ، زى ما قلنا عن وضعه بالنسبة
 للاقتصاد الكلاسيكى ، في بريطانيا ، كان ، بالصورة دي من فهمه
 للديالكتيك ، قد رصد ، ودرس كثيرا من حقائق هذا الاقتصاد .. هو ،
 في الحقيقة ، لم يكن مهتما بمجرد فكرة روبرت أوين الاشتراكية ، ولكن
 الرأسمالية نفسها درسها ، ورصدها .. درس حالة العمال ، والمصانع ،
 والاستغلال ، والفائض ، وعلاقات الانتاج ، وكتب عنها كثيرا .. كان
 قد استفاد من موقفه من فرنسا واشتراكيتهما كما شفه .. اما عن موقفه
 من الفلسفة بتاعة هيغل فسنعول قولاً موجزاً .. أنا جيت ليكم كتاب كتبه
 استالين عن « المادية الديالكتيكية » و « المادية التاريخية » ، يوريكم رأى
 ماركس في مسألة هيغل .. هو ، في بداية أمره كان من تلاميذ هيغل ،
 لكن ، في الآخر ، رأى ان هيغل فيلسوف مثالى .. مثالى بمعنى انه بيتكلم
 عن غير المادة .. بيتكلم عن « الميتافيزيقيا » .. ما وراء المادة —

الروح .. هنا قال هو ، ودي عبارة اخذت منه ؛ بد .. ان بطريقتي
الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الاحساس فحسب ،
بل هي ضدها تماما .. فحركة الفكر ، هذا الفكر ، الذي يشخصه هيغل ،
ويطلق عليه اسم الفكرة ، هو في نظره خالق الواقع وصانعه ، وعنده ما
الواقع الا الشكل الحادئ للفكرة .. دي فكرة هيغل ، اما ماركس
فقد قال عنها : « انها ، في نظري ، فعلى العكس !! حركة الفكر ليست
سوى انعكاس للحركة الواقعية » منقولة الى دماغ الانسان ، ومستقرة
فيه .. يعني هذا ان هيغل يرى ان الوجود المادي انما برز كتنفيذ
لفكرة سابقة .. ماركس يرى ان الفكرة نفسها انما هي اثر من اثر
الحركة في المادة انعكس على العقل البشري ، واستقر فيه .. بمعنى
آخر ، هيغل يرى ان الفكرة سابقة للوجود .. ماركس يرى ان الفكرة
لاحقة للوجود .. بمعنى ، لسع اوسع ، ماركس عنده ان العقل اثر من
اثر المادة .. هيغل يرى ان العقل سابق للمادة ، وهو الخلقها ،
واوجدتها .. هنا دي هي المفارقة الحقيقية بينهم .. المفارقة الحقيقية
هي ان « المادة سابقة للعقل » ، في فكرة ماركس ، و « العقل سابق
للمادة » في فكرة هيغل .. من اجل ذلك هيغل يعتبر ، عند ماركس ،
مثالي .. هنا في بعض الناس يقولوا ان هيغل كان يرى ان الوجود
الانسان ، والطبيعة ، ما نراه كله ، وما يمكن ان نراه ، هو ، في
مجموعه ، يكون الله .. دا حسب هذه الفلسفة .. الله موجود ، لكنه هو
جملة الوجود !! بطبيعة الحال المسألة الماركسية ، المسألة المادية ،
بتعتمد على زعمها ان المادة ما محتاجة لشيء خارج عنها .. أنا أفكر ان
النقطة دي هي المحك الحقيقي ، ولذلك فانها تحتاج لبعض التعبير عنها
شوية ليقدام ، وتستحق بعض الاهتمام بيها زيادة ..

المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ..

هناك مسألة التطور المستمر ، فماركس يزي في المادة صورة الفناء ، وإنها لما تبقى على صورة واحدة اطلاقا .. الحركة عنده هي الأصل .. والحركة عنده هي شكل وجود المادة .. والمادة يتحول من كمية الى كيفية .. مثلاً : المويه .. المويه مادة موجودة عندنا .. والطاقة — الحرارة ، والبرودة — مادة موجودة عندنا .. اذا انت سلطت الحرارة على الماء يتحول الى بخار ، وهي هي الماء .. واذا انت سلطت عليها (على الماء) البرودة يتحول الى ثلج ، وهي هي الماء .. تحولات المادة من كمية الى كيفية تعطى صورة مما يسمى « بالمادية الديالكتيكية » .. هذه صورتها الطبيعية واما صورتها الاجتماعية فتسمى « بالمادية التاريخية » .. « بالمادية التاريخية » انما هي اذن صورة « للمادية الديالكتيكية » ، ولكن فيما يخص المجتمع .. ولقد قعدها ماركس على خمس قواعد هي التي بنى عليها ما سمي « بالاشتراكية العلمية » ..

خمس قواعد للمادية التاريخية

القواعد الخمس : الاولى منها ان مجتري التاريخ يتحكم فيهم الاقتصاد .. بمعنى أننا انا وانت (دولتين يعنى) حاييرين نقنتى اشياء بعينها .. اذا كان عليها حصلت بيننا منافسة حصلت منازعات بيننا ، حصلت جرب ، كل هذه تحصل بسبب المنافسة على الاشياء وتحصل الثورات ، ويحصل الاستعمار ، لدى صنوبر التاريخ النحن بنأثر فيها بأعمالنا ، وبنشاطنا البنقوم بيهو من أجل ان نقنتى الاشياء — من أجل ان نمتلك ..

القاعدة الثانية عنده هي ان التاريخ انما هو صورة للصراع

الطبقي — التاريخ سجل للصراع الطبقي .. بمعنى ان المجتمع ، مما
 قارق المرحلة البدائية خالص ، البدائية لما كان عنده الأدوات ، البدائية
 لما كان الانسان يعيش على فضلات الخضار البلقاها — قد يكون الاعشاب
 والحشائش — وعلى فضلات الثمار البرية البلقاها ، من يومئذ بدأ يعرف
 الطبقات .. لما تطور المجتمع ، وتقدم شوية ، واخترع الآلة ، وبقي
 يصيد الحيوان ، وخذل اللحم في غذائه ، وتعددت حياته شوية ، أصبحت
 عنده في طبقات تستغل طبقات ، أو طبقة ، يمكنك أن تقسول : تستغل
 طبقات ، فنشأ الصراع بين المستغل والمستغلين ، وبدأ التاريخ يسجل ..
 فالتاريخ اذن هو سجل للصراع بين الطبقات ، هذا معنى قول ماركس في
 هذه القاعدة .. ودا ، لغاية الآن ، الانسان بشوفه ساير ، وبسائد ..
 دى نقطة ، أو قاعدة ثانية من قواعده .. عنده قاعدة ثالثة : هي ان
 الحكومة — اى حكومة — انما هي عبارة عن جهاز تنفيذى ، أو اداة ، في
 يد الطبقة المستغلة (بكسر الغين) لتضطهد بها الطبقات المستغلة .. اذا
 شرع التشريع ، واذا نفذ التشريع ، بالقضاء ، أو بالبوليس ، انما هو
 دائما لحماية المستغل ضد المستغل .. الحكومة عبارة عن لجنة تنفيذية
 للطبقة المستغلة تنفذ بيها اغراضها على الطبقات المستغلة .. عنده نقطة
 رابعة : هي ان العنف ، والقوة — دى القيل قلناها — العنف ، والقوة
 هما الوسيطتان الوحيدتان اللتان يمكن بهما ان نحدث أى تغيير مهم في
 المجتمع .. دى أربعة قواعد بنى عليها ماركس ما سماه : « الاشتراكية
 العلمية » .. هي عنده علمية لانها قائمة على دراسة التاريخ دراسة
 مادية .. هناك في قاعدة خامسة ، اضافها لينين ، فيما بعد ، يقول فيها —
 ودى فيما يخص الجهاز — اذا كانت الدولة هي اداة في يد الطبقة
 المستغلة لتضطهد بها الطبقات المستغلة ، فالوضع الطبيعي اذن ان تكون
 الحكومة في يد المستغلين ليتحدروا بها من الاستغلال .. والمقصود منها

بطبيعة الحال ، ان يمنع بها المستغلون (بفتح الغين) انفسهم من ان يستغلوا .. وهم ، كمستغلين ، يعلى كطبقات مضطهدة ، ما لها عناية تستغل غيرها .. دى هى ما سميت :- « بدكتاتورية البروليتاريا » ، أو « ديمقراطية » — برضو ، هم يسموها — « ديمقراطية البروليتاريا » .. دكتاتورية ، تمارسها الطبقة المستغلة ، أو التى كانت مستغلة ، ضد الطبقة المستغلة ، وديمقراطية ، فى حقيقتها ، فى حقها هى اى فى حق الطبقة المستغلة (بالفتح) .. هنا اضاف لينين ، كما قلنا ، على القاعدة الخامسة ، من قواعد الاشتراكية العلمية ، عبارة « المثقفين الوطنيين » .. القاعدة الخامسة دى كانت موجودة ، ولكن لينين ، عند التطبيق ، اكتشف ان العمال والمزارعين ، الذين هم اصحاب الحق فى ان تكون سلطة الحكم فى أيديهم ، ما عندهم المقدرة لوضع السياسة ، والتخطيط ، ولذلك اُضاف ليهم « والمثقفين الوطنيين » فكانه قال : الحكومة حقها تكون أداة فى يد « العمال ، والمزارعين ، والمثقفين الوطنيين » ، بمعنى الحزب الشيوعى .. فالحزب الشيوعى يمكن ان تطلق عليه مثلاً « المثقفين الوطنيين » ، لأن الحزب الشيوعى ما بيأخذ عامة الناس .. فانت قد تكون روسيا ، لكن مطلوب منك مستوى معين لتكون فى الحزب الشيوعى .. يمكنك ان تعرف ان سكان روسيا اكثر من مائتى مليون ، ولكن الحزب الشيوعى عشرة ملايين فقط .. ديل فى القمة .. وهذم القمة تمشى فى القلة لغاية قمة الهرم ، بالصورة البيكون فوق ، فى قمة الهرم ، السكرتير العام للحزب .. من هناك التخطيطات بتنزل ، والطبقات الاخرى بتنفذ ..

من حسنات ماركس الفكرة التطورية

هنا ، مثلاً ، انا احب أن تكون عندنا ، فى ميزان حسنات الماركسية

الفكرة التطورية لا تكون الوجود في حركة مستمرة ، لا يستقر إطلاقاً ..
 ودا ينطبق علينا نحن ، كمجتمع ، وينطبق علينا نحن ، كأفراد .. دي
 حقيقة نامضة جداً ، وجيدة جداً ، حقيقة التطور ، والتحول المستمر ..
 وانا افكر اننا نحن الآن يمكن ان نترك التوسع فيها لمحاضرة بكره ..
 لان محاضرة بكره قائمة على تطوير التشريع الاسلامي ، وبتمس مسألة
 التطور في ناحية من نواحيها الاصلية .. لكن ما من شك ان الفكرة رائعة
 جداً - فكرة التطور المستمر عنده .. فيما يضيفه «المادية الديالكتيكية»
 ان الفلسفة قديما ووثنا العالم مكون من شئ ، وهذا ليس مهما ولكن
 المهم اننا نحن الآن عايزين نحدث التغيير في تكسوين للعالم .. بمعنى
 آخر ، المهم ان يكون عندنا اسلوب علمي ليحفز التطور .. ليكون التطور
 قائم على ذكاء بشري ، حتى يكون التطور حوجه ، وسريع التغيير .. انا
 افكر دي ، اعنى المادية الديالكتيكية ، من النقط التي نضعها ، وعلمني
 الفور ، في ميزان حسنات كارل ماركس .. في الناحية دي عندنا تطوير
 التاريخ ، تطور العناصر ، تطور الوجود .. كل شئ ، فاني ، كل شئ
 يتحرك .. ونحن بنديه الحق دا لان هنا في الميزان ، في ميزاننا البوزن
 بيهو ، كلامه دا عنده وزن .. نحن القرآن بيقول لنا : «كل من عليها
 فان يود وينقي وجهه ربك ، ذو الجلال والاكرام» .. كل من عليها
 فاني .. كل ما في الوجود فاني .. الفناء نحن بنعتقد فيهو دائماً
 الموت .. وعقدنا الموت نهاية .. الواحد معنا النهار ذا ، باكسر مائة :
 نحن خلاص انتهيتا منه ، تاني ما بفشوفه ، بفضل قسرتة .. جسد ..
 بنمشي ندفته في التراب .. من هنا افكرنا انه النهاية .. جائز لنا نحن
 نفكر شويه كمسلمين نعتبر ان الموت ما نهاية .. لكن ، الحاجة البديهية
 البتصادفنا طوالى ، هي اننا بنعتبر ان الموت نهاية .. الاتسنان دا
 قبيل لما ولد جاء من حيز نحن ما بنعرفه ، خليهو قبل ما يكون في

الرحم ، (هو وجود طبيعيا قبل ما يكون في الرحم) وجود ، يحين وقت
 في الرحم ، بعدين ولد ، بعد تسعة شهور وتسعة ايام ، مثلا . . في الوقت
 ذلك فقط نحن اعتبرنا وجوده . . بعدين لما يمشى منا . . لا يموت .
 يتغيره انتهى . . لكن العارفين قالوا هو ماشى لحيز ثاني ، مولود فيهو
 جديد ، زي ما قبيل ولد عندنا . . فلو كنا بنعرف ما كنا بنعتقد انه
 منتهى . . فالفناء انما هو بالحسرة دي ، هو ، اذن ، تطور . . وقوله :
 «كل من عليها فان» وهو يعنى كل ما في الوجود بتغير ، في كل لحظة ،
 برضو بيساندا في الناحية دي . . وهو مما يعطينا فرصة وزنه هو
 بيساندا في ذلك ايضا قوله : «كل يوم هو في شأن» . . ربنا : «كل يوم
 هو في شأن» ، شأنه تعبير الوجود . . شأنه ابداء — اظهار — ذاته لينا
 لنعرفه . . ويومه مش اربع وعشرين ساعة . . يومه وحدة زمنية
 التجلي . . زمنية ظهوره في مظهره المتجدد في كل لحظة جديدة على
 آيات الافاق وعلى آيات النفوس . . وهذه الزمنية يمكن ان تكون
 الثانية . . يمكن ان تكون جزء من بليون جزء من الثانية ، لكن الحاجة
 المهمة ان الوجود كله في حركة مستمرة ، لا تستقر اطلاقا . . والثبات
 على حالة واحدة حظ الله وحده . . هنا ، اذا كان انت جيت لمسألة
 الميزان ، كارل ماركس عنده وزن كبير . . في ميزاننا نحن كلامه هذا
 عظيم . .

من بحسنات ماركس الدراسة الاقتصادية

نمبى ليقدم في مسألته في الاشتراكية . . الاشتراكية ! ! الحاجة
 النخب انها تكون واضحة ، ودى فيها لبس دائما ، ان كارل ماركس
 موش اول اشتراكي ، وهو لمن يكون أخسر اشتراكي ، لكنه صاحب
 مدرسة في الاشتراكية عتيبة ، مدرسة مجيدة ، مدرسة ، يمكنك ان

تقول ، محترمة .. لقد درس ماركس المسألة الاقتصادية دراسة واعية .. لقد جعل المسألة الاشتراكية أمر دراسة تخضع للرصد ، وللتخطيط ، وللتطبيق .. ده مما يوضع في كفة ميزان حسناته .. هنا نجى لى اشتراكيته العلمية .. لقد نرى انه يمكنك ان تجد بعض المآخذ فيها ، ولكن لا ضير .. فانه جميل قوله ان مجرى التاريخ يتحكم فيهو النظم الاقتصادية .. ده ، بطبيعة الحال ، حق ، وواضح ، عندك وعندى .. مجرى التاريخ يتحكم فيهو النظم الاقتصادية ، بمعنى العلاقات البتقوم بين المنتجين .. يعنى النظام الرأسمالى ، مثلاً ، يكاد يكون عنده تاريخ يختلف تماماً عن التاريخ البيصحب النظام الاشتراكى .. يتضح لك هذا اذا كان مثلاً علمت ان النظام الرأسمالى من مساوئه الاستعمار .. ونحن ، فى بلدنا دى ، بنعرف الاستعمار جيداً .. فى العالم كله نحن بنعرف ان الاستعمار قائم على النظم الاقتصادية الرأسمالية .. ذلك لان الرأسمالى بينتج انتاجاً واسعاً فى المصانع الكبيرة فهو عاوز مادة خامة ، وعاوز سوق يبيع فيهو المصنوع الجاهز .. فبدأت الحركة بتاعة الاستعمار فى بداية القرن الثامن عشر كأعمال تجارية .. مثلاً الهند !! استعمرتها شركة ، كانت بداية ذهاب البريطانيين .. الهند السميت ، فيما بعد ، البقره الطوب للامبراطورية البريطانية .. كانت بداية استعمارها شركة تجارية ، هى شركة الهند الشرقية .. وكان الغرض منها اول الامر ان تجلب التوابل ، وان تجلب المسائل النادرة من الشرق ، مثل البهارات ، والعطور ، المسائل الخفيفة .. كان ذلك قبل ما تمشى الصناعة بنططور كبير فى البلاد الغربية .. بعدين الشركة دى ظهرت ليها منافسات شديدة من الشركات الاخرى ، من البلاد الاخرى ، فطلبت من حكومتها ان تحميها .. جاء التدخل بالجيش .. بعدين جاء اخضاع البلاد كلها للتجارة .. جاء

الاستعمار .. أصبحت الاشياء البتطلب الآن المواد الخام الغليظة -
المطاط ، والقطن ، والاشياء البتمشى للمصانع لتصنع .. بعددين على
الشعب الهندي المستعمر ان يظل منتجاً للمادة الخام ، وسوقاً للمنتجات
الجاهزة ليشتريها ويستهلكها .. فتلقى ، اذن ، ان التاريخ يظل قدامكم
مفتوح ، النظام الاقتصادي بيتحكم فيهو ، بل يصنعه .. اذا كان مشيت
لمسألة الصراع الطبقي بتلقى ان التاريخ تقريباً سجل ليهو .. ذا حق ..
الصراع الطبقي هو النزاع البقوم بين الطبقات .. مثلاً لو شفت الرقيق ..
يمكنك ان تأخذ الصورة بالشكل الغايظ ذا .. الرقيق طبقة مستغلة ..
تستغلها طبقة الاسياد .. والرق مرحلة متخلفة من مراحل الاستغلال ..
ثم تطور الاستغلال لغاية ما مشى ليكون في صورة صاحب العمل
والعمال .. والصراع الطبقي هو النزاع القايم بين الملاك والناس
المابيملكوا حاجة يبيعوها غير عرقهم .. والصراع ذا ، عبر التاريخ ،
موجود .. وزى ما بقول لك في مسألة الرقيق .. اهو انت شايفها
واضحة .. نقطته الثالثة هي مسألة الحكومة : فالحكومة عنده هي اداة
في يد الطبقة المستغلة لتستغل بيها الطبقات المستغلة .. ودى افكر انت
يمكنك ان تشوفها .. فمثلاً في البلاد الرأسمالية النظام الرأسمالى
مسيطر .. زى ما انتو بتسمعوا عن الرئيس الامريكى ، مثلاً عن كندى
وعن جونسون ، فانه يقال انه ، (ودا رأى مؤكد ان فيه شىء مبین
الصحة) يقال انه مما حمله على مواطأة الاسرائيليين خوفاً من النفوذ
الموجود عند الصهاينة (عند اليهود) في امريكا ، فانهم يستطيعون ان
يسقطوه عندهما يتقدم للانتخابات لرئاسة الجمهورية اذا كانوا ضده ..
هذا يعنى ان اليهود عندهم وزن اقتصادى ومالى كبير .. عندهم تأثير
على وسائل الاعلام ، وبعضها تحت مكيتهم ، ويمكنهم اذن ان يعملوا
حملة ضده قد تستطه .. فاذا كان رئيس الدولة يلقى بالانفوذ

الطبقات الفنية ويخشاه فقد أصبح واضحا لك ، ويمكنك ان ترى ان الحكومة يمكن ان تكسرون أداة تنفيذ لاغراض الناس المستغلين (بالعسر) .. ولقد نجى التشريع ، كما يجىء التنفيذ لرسم لكل المسائل لتعشى في الاتجاهات المطلوبة ليهم ، ولحفظ مصالحهم .. دى هي نقطة الثالثة ، وهى ، كما ترى ، نقطة وجيهة ، وعلمية ، وواقعية ..

من ميزان سيئات ماركس ملازمة العنف للقوة

نقطته الرابعة بتاعة : « العنف ، والقوة ، هما الوسيلتان الوحيدتان لاحداث اى تغيير اساسى فى المجتمع » .. نقطته الخامسة بتاعة « دكتاتورية البروليتاريا » .. دى نقط كلها فيها ضعف .. وهى مما يمكنك ان تقول انها مما يوضع فى ميزان سيئاته .. الموضوع وما فيه انه هو ما بشوف ، للخلف ولا للأمام ، الوضع كله .. هناك فى تطور جاتى من الماضى ماشى للمستقبل بقوة ، يمكنك ان تقول عنها انها قوة صماء .. هذا التطور ماشى للانسان .. الانسان هو قمة التطور وليس للتطور فى هذا المضمار نهاية .. هذا الانسان ما عنده ارادة مستقلة ، وانما هو ماشى لمصير محتوم .. حتى فهم الانسان لهذا المصير المحتوم ، وحتى علمه ، او فلسفته انما تعطيه اياها حركات المادة المتطورة وفق قوانين معينة .. نحن فى الماضى طلعتنا من الماء ، ثم من الغابة .. نحن البشر كنا بنعيش عيشة الحيوانات المائية فى الماء ، والحيوانات الوحشية فى الأحراش .. والحيوانات ، بطبيعة الحال ، قانونها قانون الغابة حيث القوى منها ياكل الضعيف .. الحيوان المفترس ما عندو زاد يدخره ، لكن الحيوان الضعيف ، الحيوان المسكين ، الحيوان الماعندو قوة هو غذاؤه .. لغاية مجتمعتنا نحن — المجتمع البشرى — فانه اقام كثيرا من الحقوق بين افراده على خلفيه من القوة ، حتى اننا ، نحن العرب ، عندنا

من اول المحاججة ، من اول النقاش : بتلقاه نفسه قام ، وزعل ، كأنه يقول ليك ما تتكلم تانى معاى .. فالعنف انما هو حماية لنفسه ، أو ستر لضعفه .. وما من ديكتاتور بطش بالناس الا لانه خائف .. ولكننا نحن بنعتقد ان الديكتاتور الباطش بالناس دارجل قوى ، وانما قام هذا ببالنا لجهلنا بحقائق الطبائع .. والحقيقة لو هو مطمئن لنفسه ما يبطش .. فالعنف والقوة ما شرط دائما يتقرنن مع بعض .. العنف كان سمة تاريخنا فى الماضى .. القوة راح تكون سمة تطورنا فى المستقبل .. انا اعتقد ان كارل ماركس ما كان عنده خيال كافى عن المستقبل .. فى نقص فى فكرته عن المستقبل .. لقد كانت نظريته عدلية ، وكان يخاف من الخيال ، ويتبرأ منه ، بالصورة التى تركته يحاول ان يزحف على كل الأرض ، بدون ما يكون عنده خيال واضح هو ماشى ليوين .. اللهم الا خيالا يستخلصه من الماضى .. ودا هو أساس الضعف فى جميع مسائله .. فى النقط اللى قلناها قبيل فى خطأ ، وفيها أيضا حقيقة كويسة لدراسة التاريخ فيما مضى .. ولكن سحب صور الماضى على المستقبل خطأ ..

وفى ميزان سيئات ماركس « تزيف الديمقراطية » .. هنا يقع وضع ماركس فى الخطأ الكبير جدا ، اللى هو ديمقراطية الطبقة المستغلة ، الطبقة العاملة .. أو ما اسماءه باتحاد العمال ، والمزارعين ، والمثقفين الوطنيين .. دى فيها تزيف للديمقراطية مؤسف .. لانه ، بطبيعة الحال ، الديمقراطية هى ان تختار .. يمكنك ان تقول ، من الناحية دى ، الديمقراطية هى ان تمارس انت حق الاختيار .. لأن حق الاختيار يدريك فرصة انك انت بتوزن ، وبتقدر بنفسك ، وبتفكر .. حق الاختيار ، أقل مراحل ، ان تختار انت بين اثنين .. اذا كان عندنا فى حزبين ، منهم مرشحين بتنافسوا ، مثلا ، على الرئاسة ، انا وانت بنمشى ندلى باصواتنا بين زيد وعبيد .. نحن

فى المستوى دى ديمقراطيين .. لكن اذا كان فى عندنا رجل واحد بترشح
 للرئاسة ، وناس مفيلين بترشحوا للنياحة ، نحن ممكن نمشى بوممكن
 مضوت ، لكن ، رغم ذلك ، فان الوضع ما هو ديمقراطى .. الوضوح
 ترثيف للديمقراطية .. وتسميته بالديمقراطية من اكبر الاخطاء التى
 تورطت فيها الماركسية .. دى ، وما يتبع من مسائل يمكن ان ترجع ليها
 هس ، هى ثمرة الوضع عند كارل ماركس .. كون الفرد البشرى ما عنده
 قيمة ، اذا ما قورن بالمجتمع ، دى جايه من التفكير المادى نفسه ..
 التفكير المادى بقول انو المادة سابقة على العقل فى الوجود .. يعنى
 المادة اكرم من العقل .. لاحظ ان النقطة دى هى الانبنى عليها كثير جدا ..
 كون العقل نتيجة للمادة دا معنا هو ان المادة اكرم ما فى الوجود .. المادة
 اكرم من العقل .. وهذا التفضيل ينسحب على الفرد .. المجتمع اهم
 من الفرد .. وتنسحب على مسألة الحرية الفردية .. وتجى معاها
 مسألة القطيع — مسألة الجماعة — ففى الماركسية الجماعة اهم من
 الفرد .. التحكية بسيطة ، وجات من ملاسبات انا افكر انها سطحية
 جدا .. زى التفسير بتاع التاريخ بالصورة دى ، السطحية فيها بطبيعة
 الحال موجودة .. ان الفرد البشرى بطبيعته انانى ، وهو ، بطبيعته
 الثانية ، انانى جاهل ، لانه نشأ ، وارتفع ، من الحيوانية البدائية
 المعروفة .. الحيوان ما عنده اعتبار لغيره ، وهذا امر معروف .. ثم
 اننا نحن عندما دخلنا فى المجتمع لنبقى ناس كان على المجتمع ان
 يروضنا ، من شراسة الحيوان الى انسانية الانسان ، ولذلك القى المجتمع
 البدائى على الفرد البشرى تكاليف كبيرة ، الى الحدود التى جعلت
 الفرد البشرى يضحي بيهو فى سبيل الجماعة .. التضحية بالفرد
 البشرى فى سبيل الجماعة فى الاديان كلها معروفة .. نحتى فى ديننا
 نحن .. القصة البتجى عن سيدنا ابراهيم لما فرض عليه ان يضحي
 باسماعيل ما جايه من الهوى انما جايه من ملاسبات فى المجتمع الماضى

الحاجة فيها مائة * * * و ابراهيم ما تردد في التنفيذ * * * لكن في اللحظة
 ديك ربنا فداه بالحيوان * * * فانتقل البشر للضحية بالحيوان ، بعد ان كان
 يضحى بالبشر * * * مسألة عروس النيل ، في مصر ، المشهورة في ايام
 عمر بن الخطاب ! ! غاته قدروى ان عمرو بن العاص ، وقد كان حاكما على
 مصر من قبل عمر بن الخطاب ، كان قد شعر ذات يوم بجلبية في الشارع ،
 فسأل عنها ، فعلم انها عروس النيل * * * وتلك عادة قديمة عند المصريين :
 انهم كانوا يزقون للنيل كل عام فتاة من اجمل فتياتهم ، بكامل حليها ،
 وزينتها ، وتلقى في النيل ، ضحية ليفى لهم بفيضانه * * * فامر عمرو بايقاف
 هذا العمل الردى حتى يستامر عمر * * * فلما كتب لعمر بذلك كتب عمر
 جوابه المشهور لنيل مصر * * * قال في الجواب : من عبد الله عمر بن
 الخطاب ، امير المؤمنين ، الى نيل مصر * * * اما بعد فان كنت انما تقيض من
 نفسك ، فلا تقض * * * وان كنت انما تقيض من عند الله فقض * * * وامر
 عمر بان يرمى هذا الجواب في النيل ، ففعل * * * ففاض النيل ، وابطلت
 العادة من يومئذ * * * هذه كلها صور قديمة من صور التضحية بالفرد
 البشرى * * * وفي اخضاع الفرد للجماعة بهذه الصورة العنيفة فائدة للفرد
 وفائدة للجماعة * * * فاما فائدة الجماعة فواضحة ، واما فائدة الفرد
 فتجىء من اثار العنف بيعينه على السيطرة على نفسه بدواعي الخوف من
 غضب الاله ، وغضب الجماعة حين يخالف القوانين * * * وبسبب هذه
 التبرية الطويلة تحت ظل الخوف اصبحت بتلقى الفرد البشرى اذا مضى
 خاف قد يكون نشاطه ضد الجماعة ومن هنا اصبحت قائما في ذهن المفكرين
 ان الجماعة اهم منه وهو من اجلها يمكن ان تودح حريته * * * فالجماعة
 كالدولاب الكبير ، كلسه اسنان ، وما الفرد الاسنة واحدة من هذه
 الاسنان ، فاذا لتربت هذه السنة فان الدولاب سيستمر يتحرك * * *
 اهدار حرية الفرد في سبيل امن الجماعة جاي من الاعتبار القائل انو
 العقل جائي بعد المادة فهو من ثم اهم منه * * * فما قرره كارل ماركس ،

في هذا الباب ، عن ماضي التاريخ ، فهو صحيح . . ولكن ، في مستقبل التاريخ ، هل القسرد البشري لازم ليه ، ولا بد ليه ؟ لن يكون انانى ، وباسمهم أرى ؟ أم هو ماشى ليوعى وبالمستوى الذى يجده فيه سمادته في اسعاد الآخرين ؟ ويرتفع من انانية حيوانيه سفلى ، الى انانية انسانية عليا ، ومتفهمة ، وغالمة ؟ وعندنا نحن لما قال : « يؤثرون على انفسهم ولولا كان بهم خصاصة » هل تبقى الانانية على اطلاقها لم تقى الانانية الجاهلة فقط ، والانانية الغالمة موجودة حتى في هذا الايثار ؟ كل البشر عندهم انانيتهم طبعاً ، ولكن ليتعلموا ، ويترقوا ، لا بد ان ترتفع انانيتهم من ان يكون الخطام هو جزاءهم الى ان يكون جزاءهم ارفع من ذلك ، الذى هو مرضاة الله ، والقرب منه ، والى السعادة البقاها في برد الراحة بمعرفته بالله . . « الخلق عيال الله » فأجبهم الى الله ، انفسهم لعياله . . ولذلك قال تعالى « يؤثرون على انفسهم ولولا كان بهم خصاصة » . . ففى أصل المجتمع انو ماشى يصل للانانية الراقية ، لكنو في الماضى خاصة كبانت اتانيتته حيوانية وصيقة . . فكارل ماركس بنى على الماضى ، وسجبه على المستقبل ، ولذلك أخطأ هنا كما أخطأ في النقط السابقة . .

بين العقل والمادة

تجىء هنا نقطة أساسية بقيت في المادية الديليكتيكية : هل رأى كارل ماركس في أن العقل لاحق ، والمادة سابقة ، صحيح ؟ نعم !! هل رأى في أن الفكر انما هو انعكاسات لحركة المادة في الخارج منطبعة في العقل البشري ومستقرة فيه صحيح ؟ نعم !! ودى ، أنا افكر ، من النقط الحقا نكون واعين ليها ، لاننا نحن ما خلقنا من أول مرة بعقولنا دى ، وبصورتنا الحاضرة . . نحن نشأنا من حيوات دنيا . . ربنا قال : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ » « هل أتى » يعنى « قد أتى » . . مضى ، اذن ، على نشأة الانسان وقت طويل .

سنحقق .. لما ربنا يقول : « حين من الدهر » يبقى علينا أن نصور طول
 هذا الزمن .. فإذا كان اليوم عنده هو كآلف سنة مما عندنا نحن يبقى
 لما يقول هذا شيء على الإنسان حين من الدهر يمكنك أن تفكر في بلايين
 السنين تكون قد مرت على الإنسان قبل أن يكون حاجة عندها وزن
 عند الله .. قبل أن يكون عنده العقل ، يعنى .. وما من شك أن الإنسان
 بدأ في حياته البدائية وجسده سابق على عقله .. بعدين بالتطوير
 المستمر نشأ في مراقى الحياة ، باطوارها المختلفة ، حتى ظهر العقل
 مؤخرأ في مرتبة الحيوان .. ثم ترقى حتى ظهر العقل في مرتبة الإنسان ،
 فأصبح الإنسان مذكوراً في ملكوت الله — أصبح مكلفاً بالشريعة ..
 وهذا هو معنى الذكر الوارد في قوله تعالى : « لم يكن شيئاً مذكوراً » ..
 ونحن برضو دائماً — بالمناسبة — ما وجدنا بالحواس الخمسة ، زى ما
 بنألفها نحن في الوقت الحاضر .. في بداية الحياة نشأت الخاصة الاولى ،
 ويمكنك أن تسميها الحس .. يعنى الحيوان الأول — الخلية الواحدة في
 الماء — كان يحس بكليته .. اذا وجد نفسه انجرف للظلام في الموية
 الغريقة ، الباردة ، يحس بالخطر على حياته فيجىء على البر قليلاً ..
 واذا وجد نفسه الموية جرفته على البر يخاف ان ينشف ، ويموت فيجاهد
 ليرجع .. هو يحس دائماً بالخطر ، وأحساسه بكليته — بجميع
 جسده .. بعدين اتوظفت الاعضاء .. مثلاً ، كان لابد له أن يحمى
 حياته ، وكان جسمه رخواً فقامت القشرة ، فأصبحت له درقة ، ونجنا
 لغاية الآن ، عندنا منها الجلد ، والشعر ، والإظافر .. انقشيرة في أصلها
 محارة زى بتاعة القوقعة .. أو قول زى القذح بتاع السلحفاة .. أو
 قول زى الكريق بتاع التمساح .. دأ كاه نشأ من المادة البرخوة ديك ..
 بعدين الجلد اتوظف للحماية .. والحس انتقل الى مسائل ممركة ،
 بندل جسيمو كلو .. فنشأت العين ، والأذن ، والأنف ، واللسان ..
 واصلح للمس باليد ، مثلاً .. الحواس دى في مجموعها هى العقل ..

فما من شك أبداً أنو ، في التطور ، في الناحية المادية ، العقل لاحق ،
والجسد سابق ..

السيئة التي رجحت بجميع الحسنات

لكن في حاجة أساسية هي برضوفانت على كارل ماركس ، لان
نظره للمستقبل ما هو كافي .. هي ايه ؟؟ .. هي انو هناك عقل سابق على
المادة .. هذا العقل السابق على المادة نحن دلائل عليه .. المسألة
النحن — بنقولها هي سدا —

نحن هسمع عندنا عقولنا ، فاذا كنت انا عاوز أعمل التريزة دي لابد
أن يكون عندي علم بيها ، بعدين هذا العلم لابد ليه ان يتركز ، وينضج
لغاية ما بيه أخصص ، واحدد صورتها .. اول ما فكرت انا في منصة ،
مثلا ، للدار بتنبثق في ذهني صورة ليها .. الصورة دي بتحدد تماما لما
أخذ ورقة واكتب مقاساتها — القرصة مقاسها قدر شنو ؟؟ وارتفاع
المنصة قدر شنو ؟؟ والقوائم حجمها شنو ؟؟ بعدين اتحرك في النجارة ،
وانفذها .. ثلاث حركات .. العمل النحنا بنشوفه بارز بالصورة دي
مضبوق بحركات داخلية .. هذه الحركات هي انك تعلم ، وانك تريد ،
وانك تقدر . ولذلك ربنا وصف نفسه تعالى فقال : العالم ، المرید ،
القادر .. بالثلاثة اسماء دي ظهر الوجود .. طيب !! المنصة دي ،
قبل انا ما أعملها ، انت ماك عارف عنها اى حاجة .. انت ما عرفتھا الا
لما اتحركت الحركة الثالثة ، وظهرت .. لما كانت علم ، عندي أنا ، انت .
ما عندك بيها خبر .. يجوز لما كانت ارادة ، اذا كان انا خططتها في
الورقة ، (ومش شرط انا دايمًا أخططها) لكن اذا كان أنا خططتها في
الورقة ، بكون انت عندك خبر بيها .. أنت لأنك بتشوف صورتها ..
ولكنك انت برضك بتكون عاوز تشوف صورتها دي بارزة في الخشب ..
هل هي ، قبل ما تكون بارزة في الخشب بالصورة دي ، ما كانت في ؟؟

حقاً ، وحتمها ، كانت في !! ولكنها غير ظاهرة لدينا نحن .. طيبة !! اذا كان الوجود دا ، بى صورته دى ، نحن انبثقتا منو كعقول تعلم ، وتريد ، وتقدر (تنفذ) ، هل الوجود دا ما يمكن ان يكون برز عن ثلاث مستويات من الحركة برزو ؟؟ هل ما يمكن ان نقوله ، اذن ، انا فكري دايماً هو محاكاة ، وانطباع ، لفكر سابق .. النقطة التى تورط فيها كارل ماركس انما هي انكاره لى أن يكون هناك فكر سابق .. نحن فى اتجاهاتنا دى كلها ، الاشياء اللى نعملها كلها متأثرين فيها بقوانين خارجية .. هو قطعاً بنسبها للقوانين .. تحول المادة ينسبوا للقوانين .. لكن اذا كان نحن ، فى ممارستنا الطبيعية كل يوم ، بنرى انو ، اذا كنا عاجزين نعمل حاجة ، ما بتتعمل اذا ما حصلت الحركات الثلاثة دى .. اذا انت ما علمت بالحاجة البتعملها ، ثم اذا انت ما أردت عملها ، ثم اذا انت ما اتحركت لتعملها — ما قدرت — اذا ما كان عندك علم ، و ارادة ، وقدرة — لا يمكن ان يكون فى شىء يتم .. الخشب دا لو خلितو مليون سنة خشب ، ما ادخلت فيه اليد البشرية ، بالحركات الثلاثة السالفة الذكر لا يمكن ان يكون طرييزة .. يبقى ، من البداهة ، انو المادة نحن بنتكلم عنها قد تكون هي صور لى عقل اكبر من عقولنا .. ودا هو الحق اللبى ذهل عنو صاحبنا .. المادة سابقة للعقل البشرى ، ولكنها لاحقة للعقل الالهى .. هذا هو الموضوع الحساس الفيه المفارقة كلها بتاعة الماركسية .. وكل ما يمكن ان تضعه انت ، من حسنات ، فى ميزان الماركسية ، برجح دا وحده بيها كلها ، ويكاد يضيفها الى كشف السيئات .. اذن القصة هي دى .. ومنها يتضح ان هيجل الذى هو ، عند ماركس ، فيلسوف حالم ، ومثالى ، هو ، فى الحقيقة ، اقرب الى الصواب من ماركس ، الذى هو فيلسوف مادي .. هيجل اقرب الى الصحة ، وليس صحيحاً ، لانو ، زى ما انتو عارفين ، ما يوصل ليه الدين الفلسفة ما بتوصل ليه ، لسبب واحد بسيط ، هو ان الفلسفة بتقوم على التفكير .. الفلسفة بنت العقل ..

ومهما قوى العقل ، وتقويت مسائله ، وفروضه الفلسفية ، فهو لا يمكن ان يأتي بشئ اكبر من العقل . . . هناك قصة الغزالي الانتو عارفها . . . الغزالي لما بحث في كل هذه الاتجاهات ما وجد الحقيقة . . . بجداً بالفقه فما اطمأنت نفسه ، ثم اخذ في علم الكلام ، فما وجد شيئاً يريحه ، ثم ذهب للفلسفة ، فما وجد طمانينة قلبه ، في كل اولئك . . . بعدين جاء للتصوف ، فاطمأنت نفسه ، فكتب كتابه المشهور : «تهافت الفلاسفة» . . . هنا ، عند العارفين ، ان مرحلة العقل هي مرحلة معرفة ، ما في ذلك شك ، ولو لا العقول ما عرفنا الله . . . لكن العقول ، في نفس الوقت ، يتقوم حجاب بيننا وبين الله . . . ليه ؟؟ لان العقول ، زي ما انتو شايفين ، انما هي بنت للحواس . . . والحواس زي ما اتكلمنا عن تطویرها من قبل انما هي ثنائية . . . الحواس ثنائية . . . انت بتشوف بالعينين الاثنين ، وبتسمع باذنك الاثنين ، كل المسائل بتاعتك ثنائية . . . العقل برضو ثنائي . . . وهو محتاج للثنائية دي . . . اذا كان ما الحار ما بنعرف البارد . . . اذا ما الظلام ما بنعرف النور . . . اذا ما الحلو ما بنعرف المر . . . ودي الحكمة الدخلت بيها الاشياء في الوجود (في الارادة الالهية) المخلوقات كلها ثنائية . . . حتى الكفر ، والالحاد . . . الكفر من الله . . . هو يارادة الله . . . وكارل ماركس ما دعا للالحاد من نفسه . . . وبراه وانما الله قال ليه . . . الله قال ليه اعمل فيها الحاد . . . ادعو للالحاد . . . بالصورة دي ظهر الالحاد . . . وظهر لحكمة في موضوعه . . . وانت ماشي لقدام فيها . . . ومن الخطأ جدا ان تفتكر انو كارل ماركس جاء بالالحاد من عندو . . . لكن الله ، تبارك وتعالى ، اراد اشياء لم يرضها . . . عندنا في فرق بين الاسماء الالهية دقيق . . . الإرادة والرضا ، مثلاً . . . الإرادة بتدخل فيها الثنائية في الوجود ، الحكمة في دخولها لنعرفه نحن ، لأن عقولنا دي لا تعرفه ، ولا هي تدرك الوجود ، هي لا تدرك اى شئ ، الا اذا كان عندنا المقارنة ليه بضده ، « وبضدها تتميز

الأشياء» .. ربنا ما يرضى بالكفر وان اراده .. وهو انما ارسل الرسل
من اجل دا .. اراد الكفر ولكنه لم يرضه .. وارسل الرسل ليخرجوا
الناس من عموم ما اراد ، الى خصوص ما يرضى — من الكفر الى
الايمان ..

يقول تعالى في شمول خلقه الوجود ، وفي هدايته من هدى ،
واضلاله من أضل : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله .. ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون » ..

« وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » وهو ، ربنا ، البيجعل
الرجس على الذين لا يعقلون .. وقال : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ،
ولا يرضى لعباده الكفر .. وان تشكروا يرضه لكم .. » .. « ان
تكفروا فان الله غنى عنكم » ، الغنى يعنى الما بنغلب .. يعنى « فان الله
غنى عنكم » معناها ما كفرتموا بيه مغالبة ليه .. معناها ما كفرتموا رغم
أنفو ، فمن ذلك تعالى الله ، علواً كبيراً ، وانما كفرتم بارادتمو .. دا معنى :
« غنى عنكم » .. « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده
الكفر .. » .. « ان تشكروا يرضه لكم » .. تعليم الله لنا دا هو السبب الى
دخلت بيه الثنائية فى الوجود .. فلما انت تمشى بعقلك لتعرف الحقائق
الكبرى ، بتجد أن الله ما عندو ثنائية .. هناك بتجىء الوحده المطلقة ،
وهناك العقل بقصر عنو .. ودا ما يخلى الفلاسفة لا يدركون الحقائق ،
يدركون صور منها .. يدركون ظلالها فى مستوى الثنائية .. لكن ، عند
التوحيد ، العقل ما بمشى .. هيجل كان فيلسوف ، وكان عنذو معرفة
بالحقيقة اكبر من معرفة ماركس ، ولكنها ماها كافية .. كان هيجل يرى
انو مجموع الوجود هو الله .. الكلام دا فيهو جانب من الحق .. فان
الوجود دا أصله ما فيه غير الله وأسماءه ، وصفاته ، وانفعاله .. وما

نحن الا نتيجة لانعال الله .. نحن ارادة الله مجسدة .. العارفين قالوا
ما فى الكون الا الله .. بالمعنى دا هنا الوجود هو الله .. لكن هل الله
هو الوجود ؟؟ دى هى النقطة الفايته فى موضوع الفلسفة .. يدركها
التصوف ، ولا تدركها الفلسفة .. الله موش الوجود ، لكن الوجود هو
الله .. وهناك قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح
ابن مريم » .. فى هذا الأمر لطيفة من رقائى ، ودقائق اللطائف العرفانية
وتلك هى ان الذين قالوا ان المسيح ابن مريم هو الله ، ما كفروا .. هذه هى
الحقائق الكبرى فى الدين .. الله أرفع من الوجود كله ، والوجود مظهره
فى تنزلاته ليعرف .. فهنا هيجل كان مخطىء ، واعتراض كارل ماركس
عليه كان بخطأ اكبر من خطأ هيجل .. والحقائق أعلى من مسألة هيجل
ومن مسألة كارل ماركس .. هنا ، المسألة دى ، أعنى ذهول الماركسية
عن الوجود الالهى فوت عليها كل شىء فى الناحية النظرية ، وفوت عليها
تى كثير فى الناحية التطبيقية .. هسع انت يمكنك أن تقول أن الانسان
المفكر فى دقة اذا كان اتبرهن ليه أن الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فاشلة
فى روسيا ، أو فاشلة فى الصين ، ما حقو يحكم من فشلها فى التطبيق على
فشل الفكرة .. الانسان الدقيق فى فكره يعرف أنو التطبيق قد يكون
خطأ ، مع أن الفكرة صحيحة .. لكن نحن ، ومن أجل دا ، نحن ما
مشينا انخطىء الشيوعية من قصور من قصروا فى تطبيقها ، وانما مشينا
ليها من أصل فلسفتها .. فهى خاطئة فى أصل فلسفتها ومن أجل هذا
فشلت فى التطبيق ..

الاشتراكية ليست هى الماركسية :

الإشتراكية موش هى الماركسية .. لكن الماركسية مدرسة من
مندارس الإشتراكية .. ردى تقال لمصاحبة الأخوان الماركسيين
أنفسهم ، لأنهم هم يعتقدوا ، وبكلموا الناس بانك اذا انت كنت عاوز
تكون اشتراكى لازم تكون ماركسى .. الحقيقة التى نحن نريدها أن

تكون واضحة هي أن الاشتراكية إنما هي مضر الانسانية بكرة .. ما في ذلك أدنى ريب لكن الاشتراكية لا يمكن أن تتحقق الا اذا انهزمت الماركسية .. هنا افكر ممكن ثقيف .. وبايجاز نقول انو من حسنات الماركسية ، الفكرة التطويرية ، ومن حسنات الماركسية الدراسة الاقتصادية ..

من أخطاء الماركسية انو الفكرة التطويرية أخذها من الماضي وسحبها على المستقبل ، وهو عمل غير صحيح .. من أخطاء الماركسية تشويهها للديمقراطية بأن تسمى الاشياء بغير أسمائها ، وتخلط حتى الوضع الدكتاتوري يسمى ديمقراطى .. من أخطاها المفارقة الكبيرة في أنها أنكرت الوجود الأكبر من وجودنا ، مجرد أنها عجزت عن أن تدركه .. عجز كارل ماركس عن أن يدرك الله فذهب ليجعل العجز ذا ذاتو فضيلة ، فقرر انو الله ما في .. أنا افكر انو ذا الخطأ اللاي يمكن ، مهما عملت الماركسية ، أن يعطيها شئ كبير من الوقت تعيشه .. أخطاء كثيرة ، لكن في حاجة يجب أن تكون واضحة عندنا ، هي انو الماركسية ، كما طبقت في روسيا ، وفي الصين ، مرحلة من مراحل التاريخ البشرى . وقد كانت ضرورية تماماً ، وخدمت الغرض تماماً .. اذا كان نحن عاوزنها تنسحب للمستقبل يبقى الخطأ خطأنا نحن .. لكن اذا أخذنا العبرة من تطبيقها ، في نجاحها وفي فشلها ، في مدى الخمسين سنة الماضية فانها هي نشاط بشرى جم الفائدة وعنده قيمته العظيمة ، وعلينا أن نستفيد مما ليهو من صواب ، وأن نصحح ما عليه من أخطاء ، لنعشى لى قدام بتطبيق النظام الاشتراكى المصحوب بالنظام الديمقراطى .. وما أعتقد ان دا بيحى الا عن الفهم الصحيح لحقائق الوجود التى حاولنا أن نقدمها ، في الوقت الحاضر ، وهى مأخوذة من الفكر الاسلامى الجديد .. افكر في المرحلة دى اترككم لتشاركوا في النقاش بعدما طالت المقدمة بالصورة دى .. شكرا ..